المتطرفون أساءوا إلى الشيعة والسنة

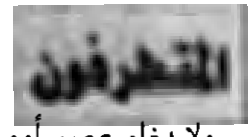

المتطرفون ظهروا منذ ظهور الإســلام.. وسوف يستمر ظهورهم إلى يوم الدين.. لأن التطرف حالة عقلية، وربما يكون أيضا حالة نفسية، ولا يخلو عصر أومجتمع من المتطرفين فى الدين، أو السياسة، أو حتى فى الفن!

والمتطرفون هم الذين أســاءوا ويســيئون إلى الإسلام. الشـيعة منهم أساءوا إلى الشـيعة، وأهل السنة منهم أســاءوا إلى السنة، والمشكلة أنهم محسوبون على هؤلاء وهؤلاء.. والمصيبة الكبرى أن البعض- من المســلمين وغير المســلمين- يســتمع إلى المتطرفين، أو يقرأ كتبهم ويحسب أن هؤلاء هم الشيعة.. أو أن هؤلاء هم أهل السنة.. والكارثة أن يحسب الجاهلون فى الخارج والداخل أن هؤلاء وهؤلاء هم المعبرون عن الإسلام والناطقون الرسميون باسمه.

حتى بعض كبار الباحثين - مع الأســف - وقعوا فى هذا الشــرَك. ورددوا أقوالا جاءت من بعض الفرق الشــيعية المتطرفــة وتناقلها مؤلفو كتب وضعت فى الأصل لأغراض سياسية فى عصور مختلفة، وبعض هذه الأقوال صدرت عن قلة متطرفة وبعضهــا ملفق. والخطأ الأكبر أن البعض ينظر إلى الشـيعة على أنهم مذهب واحد وفرقة واحدة وهذا غير صحيح، حتى إننا نجد من يردد ما قيل من أن الشيعة جميعا يشــككون فى القرآن ويقولون: إنه أضيف إليه وحذف منه، وحتى أســتاذ كبير مثل الدكتور عبد المنعم النمر ذكر فى كتابه عن الشيعة أن لهم قرآنا خاصا بهم يسمونه (قــرآن فاطمة) وذكر ذلك على أنه قرآن الشــيعة جميعا، وكأنهم بذلك يكذبون قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (ســورة الحجر آية٩).. وإلى هذا الحد وقع الخلط وحدثت الإســاءة إلى الشيعة وإن كان البعض من المتطرفين يقول بذلك فلماذا ننسبه إلى الجميع؟.

obeikandi.com

إمامنا الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل يقول: إن للمجتمع الإسلامى تكثر فيه الآراء والمذاهب.. والله يأمرهم بقوله:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران آية ١٠٣) ويقول: إن المسلمين جميعا مأمورون بحب آل البيت وتكريمهم فى قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى آية (٢٣).

وقوله تعالى فى سورة الأحزاب آية٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

وقد اشتد حب سيدنا على وذريته عند بعض المسلمين فغالوا فى تكريمهم له لدرجة أن بعضهم (وليس كلهم) اعتقد ألوهية سيدنا علىّ، وبعضهم (وليس كلهم) اعتقد أنه النبى المرسل، وبعضهم (وليس كلهم) قال إنهما شريكان فى النبوة، وقالوا: إنه الإمام بعد الرسول دون أبى بكر وعمر وعثمان، وإن الإمامة لاتخرج عنه ولا عن أولاده، وإن خرجت فإن ذلك يكون ظلما أو تقية.

يقول الإمام الراحل الشيخ جاد الحق: إن أشهر الفرق الشيعية خمس، هى: الزيدية فى اليمن ومذهبهم قريب من مذهب أهل السنة وإن اعتقدوا أفضلية علىّ على أبى بكر وعمر ولكنهم أجازوا إمامة من هو أقل فضلا. والفرقة الثانية هى الإمامية وهم الذين قالوا بأن الأئمة اثنا عشر من آل البيت، ولذلك يسمون الاثنى عشرية، لأن الأئمة عندهم هم: علىّ، والحسن، والحسين، وعلى زين العابدين بن الحسين، ومحمد الباقر، ثم جعفر الصادق، وكان له ستة أولاد أكبرهم إسماعيل ثم موسى، ومات إسماعيل فى حياة أبيه فأوصى بالإمامة إلى ابنه موسى الكاظم. وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق انقسم الاتباع، فمنهم من استمر على إمامة إسماعيل وهم: الإسماعيلية، والباقون اعترفوا بإمامة موسى الكاظم وهم: الموسوية، ومن بعده على الرضا، ثم ابنه محمد الجواد، ثم ابنه على الهادى، ثم ابنه الحسن العسكرى

(نسبة إلى مدينة العسكر(سامرا)). والحسن العسكرى هو الإمام الحادى عشر، ويعده ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر، وقد مات وليس له ولد، فوقف تسلسل الأئمة، وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هجرية. ويعتقد الشيعة الإمامية بأن الإمام الثانى عشر لم يمت، ولكنه دخل سردابا فى (سامرا) وسوف يرجع فى زمن قادم، فهو المهدى المنتظر. وهذه الطائفة من الشيعة منتشرة فى إيران، والعراق، وسوريا، ولبنان، ومنهم جماعات متفرقة فى أنحاء العالم. وللشيعة كتب ومؤلفات كثيرة، من أهمها كتاب (الوافى) فى ثلاثة مجلدات كبيرة جمعت كثيرا من الأفكار التى وردت فى كتبهم الأخرى. وقد هاجم بعض أهل السنة عقائد الشيعة، وأشهر كتب النقد كتاب (الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة). ولرئيس أهل السنة بباكستان محمد عبد الستار التونسى كتاب مشهور عنوانه (بطلان عقائد الشيعة).

ومن أهم أصولهم كما يقول إمامنا الشيخ جاد الحق خمسة مبادئ:

١- تكفير الصحابة ولعنهم وبخاصة أبو بكر وعمر (وليس كل الشيعة يرون ذلك).

٢- ادعاء أن القرآن الموجود فى المصاحف ناقص، والباقى مخزون عند آل البيت فيما جمعه الإمام على (وليس كل الشيعة يقولون ذلك).

٣- رفض كل رواية تأتى عن غير أئمتهم فهم عندهم معصومون دون سواهم.

٤- التقية - وهى إظهار خلاف ما يعتقد الشخص لدفع السوء عنه.

٥- عدم مشروعية الجهاد الآن، لأن الإمام غائب، والجهاد مع غيره حرام ولا يطاع. ولا يُحسب شهيدًا فى حرب إلا من كان من الشيعة، (وليس كل الشيعة يقولون ذلك).. ويبيحون تصوير سيدنا محمد، والإمام على كرم الله وجهه، والإمام الحسين وتباع الصور أمام المشاهد والأضرحة.

□□□

تعرضت مذاهب الشيعة لكثير من التشويه، والسبب أن البعض تناولها على أنها مجموعة أفكار وآراء غريبة مختلطة بكثير من الخرافات، وخلط بين هذه المذاهب

وممارسات الجهلة والبسطاء من الشيعة، مع أن لهم أشباها ونظائر بين أهل السنة، تختلط أفكارهم وممارساتهم وعاداتهم الدينية بالكثير من الخرافات والفولكلور.

وأهل السنة في حيرة من أمرهم من موقف الشيعة من الإمام عليّ كرم الله وجهه، لأنهم ما زالوا حتى اليوم يعتقدون أنه الأحق بالخلافة، ويعتبرون ذلك أصلا من أصول العقيدة، حتى بعد مرور أربعة عشر قرنا على رحيل الإمام عليّ والحسن والحسين، وبعد انتهاء الخلافة من مجتمعات المسلمين. كما اختلف الدارسون من أهل السنة في رؤيتهم للشيعة: هل هم فرقة دينية أو هم حزب سياسي؟ فإن اعتبارهم فرقة من فرق الدين الإسلامي يدفعنا إلى البحث في أفكارهم الدينية الأساسية ومدى اتفاقها أو اختلافها مع ما جاء في الكتاب والسنة. واعتبارهم حزبا سياسيا يجعلنا نبدأ بدراستهم من لحظة الخلاف على الحكم، هل كان الأحق بالسلطة السياسية بعد الرسول ﷺ أبو بكر وعمر، أو كان الأحق هو الإمام عليّ؟ وهل الاختلاف حول أحقية أي منهما يمكن أن يكون أصلا من أصول الدين الإسلامي يستمر إلى يوم القيامة، أو أنه أمر يتعلق بالسلطة الزمنية ينتهي بانتهاء وجود الحكام المختلفين، وتبقى ذكراهم للتاريخ يستمد منها المسلمون الدروس للعظة والعبرة؟.

فكرة (الإمام) كما يؤمن بها الشيعة تبدو غريبة عند أهل السنة، فالإمام عندهم له منزلة الأنبياء، وهو خليفة الرسول ﷺ، وهو زمام الدين. والإمامة هي نظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، ولايكون تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والصدقات والحدود والأحكام ولا تصح هذه العبادات إلا به.. الإمام يحل الحلال، ويحرم الحرام، ويقيم حدود الله. والإمام هو واحد زمانه لا يدانيه أحد، ولايعادله عالم، ولايوجد له بديل، وليس له مثيل أو نظير، هو المختص بالفضل كله من الله الوهاب، وهو اختيار الله وليس اختيار البشر، ويستندون في ذلك على الآية ٦٨ من سورة القصص:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ فكيف يكون للبشر اختيار الإمام وقد اختاره الله، وشـــرح صدره، وأودع في قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهامـــا، فلا يحيد عن الصواب، وهو معصـــوم من الخطأ والزلل والعار، يخصه الله بذلك لأنه هو حجة الله على عباده، وشـــاهد على خلقه، والله أمر بطاعة الأئمة، ونهى عن معصيتهم، وهم بمنزلة رســـول الله ﷺ، إلا أنهم ليســـوا أنبياء، ولا يحل لهم من النســاء ما يحل للأنبياء، وما عدا ذلك فهم في منزلة رسول الله ﷺ.

هذا التعريف للإمامة تجده فى (الكافى) منسوبا إلى الإمام الرضا، ونقله الدكتور أحمد صبحى فى كتابه (نظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية)، وهو تعريف يثير الحيرة عند أهل السنة. وأنصح بالرجوع إلى كتاب الدكتور صبحى وقد أعده تحت إشـــراف أستاذنا الدكتور على سامى النشار الذى يعتبر الحجة فى دراسة الشيعة ومذاهبهم.

والباحثون الشيعة يرون أن الرسول ﷺ هو الذى وضع أساس التشيع، ويروون أحاديث للتدليل على ذلك، مثل الحديث الذى يقول: إن الرســـول ﷺ أشـــار إلى علىّ وقال: "والذى نفســـى بيده إن هذا وشـــيعته هم الفائزون يوم القيامة". ومثل الحديث الذى ينســبونه إلى ابن عباس يقول فيه: لما نزلت الآية ٩ فى سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال رســـول الله ﷺ لعلـــىّ: "هو أنت وشـــيعتك.. يوم القيامـــة تبعثون راضين مرضيين".. ويقولون: إن الرســـول ﷺ عندما نزل عليه قول الله آية٢١٤ فى سورةالشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع بنى هاشـــم قائلا: "أيكم يؤازرنى ليكون أخى ووصيتى وخليفتى فيكم بعدى؟ فلما لم يجبه ســـوى الإمام علىّ قال لهم الرســـول ﷺ: هذا أخى، ووارثى، ووزيرى، ووصيتى، وخليفتى فيكم بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا".. ويستخلصون من ذلك أن التشيع بدأ من الرسول ﷺ.

وقضيــة مَن الأحق بأن يخلف الرســـولﷺ بعد رحيله ينطبــق عليها وصف طه حســين بأنهــا (الفتنة الكبرى) لأن الأنصــار رأوا أنهم الأحق بالخلافة على أســاس أنهــم أول مــن آوى الرســول وهم الذين نصــروه، وقالﷺ عنهــم: "لو اتخذت العرب شــعبا، واتخذ الأنصار شعبا، لاتخذت شــعب الأنصار"وقال الأنصار: إن الرسولﷺ عاش بيننا، ومات بيننا، ودفن فى أرضنا، وترك الدنيا وعاصمة الأنصار هى عاصمة الإسلام.. وهذا ما قاله زعيم الأنصار سعد بن عبادة.

والمهاجــرون مــن أبناء قريش رأوا أنهم الأحق بالخلافــة، فهم أول من عبد الله فى الأرض، وفى أرضهم أول بيت وضع للناس، وهم السابقون إلى الإسلام . . وهذا ما قاله أبو بكر الصديق.

أما بنو هاشم فرأوا أن خلافة الرسولﷺ لابد أن تبقى لهم وهم أهله وأقرب الناس إليه، والأولى بها علىٌّ الفقيه، العالم بسنن رسول الله ﷺ.

وهكذا بدأ الخلاف حول الحكم لكنه ظهر فى صورة عقائدية. وطه حســين يقول: إن نظام الحكم أيام النبى ﷺ لم يكن مفروضا من الســماء، لأن الإسلام دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم يترك للناس شئون دنياهم. أمـا الشيعة فهم لا يفرقون بين السياســة والدين، وهم يرون أن وجود الإمام وطاعته واجبة فى كل زمان لكيلا يحرم الناس من التشريع الربانى، وعناية الله تقتضى ألَّا يترك العالَم خاليا من رئيس يدبــر وإمام يجمع الناس ويعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية ويرددون حديثا عن الرســول ﷺ قوله عن الله ســبحانه وتعالى: "لم أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف طاعتــى وهداى، ولم أكن أترك إبليس يضل الناس وليس فى الأرض حجة يدعو إلىّ ويهدى إلى سبيلى".

وقضية الإمامة ركن أساســى فى عقيدة الشــيعة ولذلك يجب تفهُّم طبيعة ومكانة أئمة الشــيعة وما يتمتعون به من قداســة عند اتباعهم، لكى نفهم أن هؤلاء الأئمة لهم القيادة الدينية والسياسية، ولهم العصمة فى شئون العقيدة وشئون الحكم.

والتطرف أو (الغلو) قديم، وكانت البداية بسبب شدة الحب للرسول وآل بيته، والحب يولد الأسطورة التى تحيط للحبوب بهالة من القداسة. وهذا ما نراه عند غلاة الشيعة. وقد تنبه الشهرستانى إلى هذا فقال: (الغالية هم الذين غلوا -أى بالغوا- فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلق وحكموا فيهم بأحكام الألوهية) وقد نشأت تشبيهاتهم من مذاهب غير إسلامية شبهت الخلق بالخالق، وأفكارهم مثل: التناسخ، وعودة الإمام، وتشبيه الإنسان بالإله، والقول ببدء الخلق بإمام معين، فهذه أفكار كانت تتردد فى عقائد ومذاهب وديانات غير إسلامية.

وأستاذنا الدكتور على سامى النشار يفرق بين نوعين من الغلو عند الشيعة.. الغلو فى الحب، والغلو فى العقيدة، وفى أحيان كان الغلو فى الحب هو الذى أدى إلى الغلو فى العقيدة. فالغلو فى حب آل البيت لا يضير للجتمع الإسلامى أو العقيدة الإسلامية فى شيء، ولكن أن ينسب البعض النبوة أو الألوهية لواحد من آل البيت، أو أن ينسب إليه العلم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، فإن ذلك هو المزلق الخطر.. ونحن نرى أن علماء أهل السنة والجماعة لم يستنكروا بعض فرق الشيعة، بل إننا نرى الإمام أبا حنيفة عالم الإسلام الكبير يؤيد الإمام زيد بن على فى خروجه على بنى أمية، وعده بالمال والعون، ولم يكن أبو حنيفة شيعيا.. كذلك نرى الإمام الشافعى - وهو أبعد الناس عن التشيع - يردد:

لو كان رافضا حب آل محمد .. فليعلم الثقلان إنى رافض

شدة الحب لا ضير فيها، ولكن حين يؤدى الغلو فى الحب إلى المساس بالعقيدة فهنا يكون للحظور.. وهذا ما وقع فيه غلاة الشيعة.

وفى كتاب (فاطمة الزهراء) الذى وضعه المرحوم توفيق أبو علم، وأصدرته دار المعارف، رسالة من العالم الشيعى الراحل محمد صادق الصدر يتحدث فيها عن موقف الشيعة من حب آل البيت فيقول: إنهم ذوو القربى للرسول ﷺ - الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الدنس، وجعلهم أئمة حكماء يُهتدى

بهم، ويُستضاء بأنوارهم إذا ادلهمّ الأمر وطغى الضلال بين الناس، وليس من الغريب أن يكونوا بهذه المنزلة الرفيعة التى رفعهم الله إليها، وهم جزء لا يتجزأ من رسول الله ﷺ، علمهم من علمه، وأدبهم من أدبه، وأطلعهم على وحى الله وشريعته وأسراره، ويكفينا للدلالة على عظمتهم، عليهم السلام، أن حياتهم الشريفة، التى ابتدأت بأمير المؤمنين على، وختمت بالمهدى، كانت جميعها امتدادا واستمرارا لحياة جدهم الأعظم ، وحياتهم المثلى كانت كلها وقفا على الشريعة والأمة والمصلحة العامة، فما أبقوا آية فى كتاب الله إلا أوضحوها، ولا حكما من أحكام الله إلا بينوه على وجهه الأكمل. وكان النبى الكريمﷺ يُعرّف أمته بمنزلة أخيه (علىّ) فيقول: "أنا مدينة العلم وعلىّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه" ويقول:"أعلم أمتى من بعدى علىّ بن أبى طالب" ويقول: "يا علىّ أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدى" ويقول: "قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطى علىّ تسعة أجزاء والناس جزءا واحدا، وعلىّ أعلم بالجزء الواحد منهم".،

ويقول محمد صادق الصدر أيضا: إن (عليّا) عليه السلام، مع قصر مدة خلافته، ومع المشكلات التى واجهته فى عهده، ترك من بعده كتاب (نهج البلاغة) الذى هو أعظم دستور للأمة الإسلامية، يرشدها للطريق المستقيم فى خطبه البليغة، وآرائه الصائبة، وكلماته القصار الحكيمة. وقد أبقى من أحكامه فى القضاء ما كان مصدرا يرجع إليه المجتهدون عند إصدار أحكامهم منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر.

والإمام الحفيد (على زين العابدين) وهو فى أشد محنته، فى أيام بنى أمية الظالمة لأبيه وجده، لا يضن على الأمة بالنصح، فيرشدها إلى الخير، وإلى كل عمل صالح، فى (صحيفته السجادية) الشهيرة، يوجه فى (زبور آل محمد) إرشاداته للناس عن طريق المناجاة والدعاء إلى الله، وفى أدعيته البليغة من المعانى ما يحير العقول والألباب.

ويقــول محمد إمام الصدر: جدير بالمسـلم المؤمن ألا يخلـو داره - بعد القرآن الكريم - من نهج البلاغة، ومن الصحيفة السجادية. وهما - بعد القرآن - توأم، وهما دون كلام الخالق والنبى ، وفوق كلام المخلوقين.

ويقــول عــن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السـلام: لما سـاعدته ظروفه، فتح بابه للناس، فكانت داره فى عصره الزاهر أعظم مدرسة للأمة، خرّجت الأعلام فى الفقه والتفسـير والحديث وسائر العلوم الإسلامية، وقد كثر الرواة عنه من مختلف المذاهب الإسـلامية، فكان أربعة آلاف رجـل يقولون: حدثنى جعفر بن محمـد. وقد جمع فى رواياته التى اتخذت عنه بدون واسـطة أربعمائة كتاب تعرف عند الإمامية (بأصول الأربعمائة).

ويقــول محمد إمام الصدر : ولكن الفتن الهوجاء فــى تلك العصور لعبت دورها فــى تلك الأخبار، ولولا لطف البارى عز اسمه بالأمة الإسـلامية، لا نمحت تلك الآثار النبوية، ولكن الله تعالى هيأ أعلاما من حملة علوم أهل البيت نذروا أنفسـهم لخدمة أئمتهـم، فوقفوا أقلامهم وأفكارهم وأوقاتهم لجمـع أحاديث (العترة الطاهرة) بكتب كانـت - ولا تزال - المصدر الفياض لكل مجتهد يرجع إليها عند اسـتنباط الأحكام الشـرعية. وهـذه الكتب هى الكتـب الأربعة: (الكافـى) و(من لا يحضـره الفقيه) و(التهذيب) و(الاسـتبصار) وهى خلاصة ما أمكن تحصيله من (أصول الأربعمائة) وهى للمحمدين الثلاثة الأوائل: محمد بن يعقوب الكلينى صاحب الكافى، المتوفى فى شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ، وهـى السنة التى تـوفى فيهـا أبو الحسن على بن محمد السمرى آخر السفراء الأربعة، وقد اشتمل (الكافى) على ١٦١٩٩ حديثا.

ومحمد بن على بن الحسـين بن موسـى القمى المتوفى سـنة ٣٨١ هجرية، أدرك نيفا وعشـرين سـنة من غيبة الإمام المهدى الصغرى، وهو صاحب (من لا يحضره الفقيه) وقد اشـتمل على ٣٩١٢ حديثا مسـندا، و ١٠٥٠ حديثا مرسلا.. ومحمد بن الحسـن بن على الطوسـى شـيخ الطائفة فى عصره هو صاحب كتابى (التهذيب)

obeikandi.com

و(الاســتبصار) المتوفى سنة ٣٦٠ وقد اشتمل كتابه على ٥٠١١ حديثا.. وقام بعدهم محمد بن الحســن الحر العاملى صاحب (وســائل الشــيعة إلى تحصيل مســائل الشريعة) ومحمد الباقر للجلى صاحب (بحار الأنوار) ومحمد بن مرتضى المشهور بمحسن الفيضى صاحب (الواقى).

وهكــذا نرى فيما ذكره العلامة الشــيعى محمد صادق الصدر أمرين من أصول الشــيعة: **أولهما:** درجة القداسة التى يخلعونها على الإمام علىّ ونسله، و**ثانيهما:** أنهــم يعتمدون فقط على الأحاديث النبوية عن الإمام علىّ والســيدة فاطمة الزهراء ونسلهما، ويرفضون رواة الحديث الأخرين.

ويقــول محمد صــادق الصدر عن الاختلاف بــين الشــيعة: إن اختلاف الرأى لا يفســد للود قضية، وشــأنها فى ذلك شــأن المذاهب الأربعة، فإن بعض المذاهب قد يرى فى المســألة الفقهية رأيا، ويرى المذهب الآخر رأيا يخالف رأيه، وهذا طريق للجتهدين الذين يصلون إلى الحكم بحســب المســتند الذى يكون مدركا لهم حين الاســتنباط.. والواقع أن الحالة اليوم اختلفت كل الاختلاف عن السابق، فقد حدث كثيرمــن التقارب والتفاهم، وصدرت عشــرات المؤلفات التــى تحمل هذه الروح الإسلامية الطيبة.

□□□

وحب آل بيت النبوة عند أهل الســنة لا يقل عنه عند الشــيعة، فالإمام الشــافعى يقول:

يا أهل بيت رسول الله حبكـــم ... ونور من الله فى القـرآن أنزله
كفاكم من عظيم القـدر أنكـــم ... من لم يصلِ عليكم لا صلاة له

والكاتب الكبيرعبد الرحمن الشرقاوى له كتاب عظيم من جزأين عن الإمام علىّ وصفه فيه بأنه الشــهيد الأســطورة، المثالى، الذى استقر فى ضميرالزمن، وهو أمير المؤمنين الذى اجتمع له من عناصر القدوة وشــرفها ومن مقومات القيادة ونبالتها

وشـــرفها ما لم يجتمع قط لحاكم. وهكذا كان فريدا، عالما، وحاكما، فسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا.

وطه حسين له كتاب شهير: (على وبنوه) فى سلسلة الفتنة الكبرى تناول فيه بالمنهج العلمى تحليل اســباب تحوّل شــخصية الإمام علىّ إلى أسطورة والظروف القاسية التى جاء فيها الإمام علىّ بعد مقتل عثمان، وتطورات الأحداث التى انتهت إلى مقتل الإمام الشهيد.

أما العقاد فإن كتابه (عبقرية الإمام علىّ) أعظم ما كتب أهل السنة عن الإمام، وقد رأى فى سيرة على والحسين ملتقى بالعاطفة المشبوبة والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار، والحسين هو الشهيد أبو الشهداء، يجرى تاريخه وتاريخ أبنائه فى سلسلة طويلــة من مصــارع الجهاد والهزيمة، ويــتراءى للمتتبع من بعيــد واحدا بعد واحد شيوخا جللهم وقار الشيب، ثم جللهم السيف الذى لا يرحم، أو فتيانا عوجلوا وهم فى نضرة العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة، بل يحال بينهم وبين الزاد والماء، وهم على حياض المنية جياع ظِماء، وأوشك لمصرعهم أن يُصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم، حتى قال شــاعر فيلســوف كأبى العلاء: لا يظن به التشيع بل ظنت بإسلامه الظنون:

وعلى الأفق من دماء الشهيد ... بن على ونجله شــاهدان
فما فى أواخـــر الليل فجرا ... ن ، وفى أولياته شــفقان

ويقول العقاد : إن فى ســيرة ابن أبى طالب ملتقى بالخيال، حيث تحلق الشــاعرية الإنسانية فى الأجواء، فهو الشجاع الذى نزعت به الشاعرية الإنسانية منزع الحقيقة ومنــزع التخيل، واشــترك فى تعظيمه شــهود العيان وعشــاق الأعاجيب.. وهو من أصحــاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصور، وللــذوق الأدبى، أو الذوق الفنى- ملتقى بسيرته كملتقى الفكر والخيال والعاطفة، لأنه رضوان الله عليه كان أديبا بليغا له نهج فى الأدب والبلاغة يقتدى به المقتدون.

هكــذا نجد أن أهل الســنة يجمعون على حب النبــى وآل بيته. والإمام على له من الحب نصيب كبير، لأن شــخصيته وســيرته وعظمة مواقفه وشجاعته جعلت هالات النور تحيط به فى عيون المســلمين. وإن كان هناك مــن يكرهونه بقوة ومن يحبونه بقوة حتى بلغ حب بعضهم له أن رفعوه إلى مرتبة الآلهة المعبودين، وبلغ من كراهية بعضهــم أن حكموا عليه بالمروق من الديــن.. الروافض الغلاة يعبدونه وينهاهم عن عبادته فلا يطيعونه، ويستتيبهم فيصرون على الكفر، ويأمر بإحراقهم فيقولون وهم يساقون إلى الحفيرة الموقدة: إنه الله وإنه هو الذى يعذب بالنار!

وهنــاك الخــوارج الغلاة يعلنون كفــره ويطلبون منه التوبــة إلى الله عن عصيانه، ويســبونه علــى المنابر كما ســبه خصومه الأمويــون الذين خالفوهم فــى العقيدة ووافقوهم على الســباب.. وعلى الجانب الآخر أصبح اســم علىّ علما يلتف به كل مغضــوب، وينادى به كل طالب إنصاف، وقامت باسمه الدول بعد موته لأنه لم تقم لــه دولــة فى حياته.. وفى ذلك كله كان الإمام علىّ أبلــغ من وصف حاله فى حياته وبعــد رحيله حين قال: (ليحبنى أقــوام حتى يدخلوا النار فى حبى، ويبغضنى أقوام حتــى يدخلوا النار فى بغضى) وحــين قال: (يهلك فىّ رجلان: محب مفرط بما ليس فىّ، ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى).

□□□

وفى مرحلة من المراحل كان الخلاف بين أهل السنة والشيعة قد وصل إلى درجة القطيعة، بل وإلى درجة العداء، وكان ذلك بســبب السياســة ومصالح أهل الحكم، وبســبب جهل كل فريق بحقيقة الفريق الآخر والجهل بجوهر الإســلام القائم على وحدة المســلمين وتحريم الفرقة بين صفوفهم مهما اختلفت اجتهاداتهم ومذاهبهم فى الفروع، وبسبب التطرف والغلو فى الجانبين.

ونحن فى مصر لا نعرف هذا العداء بين المذاهب الإسلامية - كما قال عبدالرحمن الشــرقاوى - نحن لا نعرف غير كتاب الله وســنة رسوله وما أجمع عليه أئمة الدين،

وما استنبطوه من أحكام. وإن الصلاة الواحدة لتقام عدة مرات فى بعض البلاد الإسلامية لأن أتباع كل مذهب لايصلون إلا خلف إمام من أهل المذهب! وأن أتباع بعض المذاهب السنية لايتزاوجون فى بعض البلاد الإسلامية.. أما فى مصر، فنحن أهل سنة، ومريدون، ومحبون لآل البيت فى الوقت نفسه، ولا نجد فى هذا تناقضا. ونحن نصلى وراء الإمام الصالح، مالكيا كان أو حنفيا أوشافعيا أوحنبليا أوظاهريا.. نحن ننتمى إلى الإسلام ونحترم كل أئمته على السواء.. لانفرق بين أحد منهم.. ولانعرف هذا الخلاف بين المذاهب.

والقانون المصرى أخذ فى الأحوال الشخصية من فقه الشيعة الزيدية، كما أخذ من فقه الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ومن فقه كل الأئمة: مالك، وأبى حنيفة، والشافعى، وابن حنبل، وابن حزم الظاهرى، وابن تيمية (الحنبلى).

□□□

وإن كانت نشأة الشيعة فى بدايتها لأسباب سياسية تتعلق بالحكم ومَن الأحق به، لكن الخلافات السياسية فى المجتمع الإسلامى قديما وحديثا سرعان ما تكتسب صبغة دينية، وسرعان ما ينشأ فرع من فروع الفقه يساندها ويؤيدها ويدعمها بالحجج والأسانيد الشرعية، ونحن نلاحظ اختلاط الفقه بالسياسة فى مذاهب الشيعة والسنة أيضا، كما نلاحظ أن المؤيدين والمعارضين للحكام أولأنظمة الحكم لا يكتفون بالمعارضة السياسية ولكن يستندون إلى القرآن والسنة والتفسيروالفقه وأقوال السلف الصالح.

وهذا ما يفسر تمسك الشيعة حتى اليوم بموضوع أحقية الإمام علىّ ونسله بالحكم، على رغم مرور مئات السنين، وانتهاء الوجود التاريخى لكل من علىّ ومعاوية ونسلهما، وعلى رغم اختلاف نظم الحكم فى العصر الحديث، فلم يعد الحكم سلطة دينية، وإن كان ملتزما بعدم الخروج على الشريعة، فالانتخابات مثلا، والأحزاب السياسية، والصحافة والقيادات السياسية التى تصعد إلى مقدمة النظام

دون سند من الميراث، وللمجالس النيابية، والسماح بوجود معارضة.. إلخ كل ذلك لم يكن قائما فى صدر الإســلام، ولكن التطور السياسى والاجتماعى أفرز هذه النظم، وأعطى لعامة الناس الحق فى المشاركة فى الحكم فى إطار الديمقراطية.. وهذه النظم أصبحت نظما عالمية تطبق فى الــدول المتقدمة، وتفرضها طبيعة الحضارة الحديثة، حتى إن دولة مثل إيران التى تطبق الفكر السياســـى والدينى الشيعى لم تستطع أن تتجاهل النظم والمبادئ والأفكار السياســية الحديثة، فهـى تأخذ بالانتخابات، وفيها صحافة، ومجلس تشريعى و.. و..

لذلــك فإن محبة ســيدنا علىّ ونســله لا يجوز أن تكون ســببا فــى الخلاف بين المســلمين، بعد أن زالت أســباب هذا الخلاف، ولم يعد أغلبية المســلمين يفكرون فى أحقيــة أحد فى حكمهم بالأمر الإلهى، فالحكم اليوم يتقــرر بالانتخابات وبإرادة الشــعوب.. ومبدأ تداول الســلطة يتعارض مع مبدأ الحــق الإلهى فى الحكم الذى ينتمى إلى العصور الوســطى، حين كانت الكنيســة تؤيده وتسبغ على الملك قدسية إلهية وتصوره على أنه ظل الله فى الأرض، وأنه لا ينطق عن الهوى.. اليوم ليس هناك قبول لفكرة وجود إنســان هو ظل الله على الأرض.. ولا لفكرة توريث الســلطة إلى الأبد بالأمر الإلهى، وهذا لا يتعارض أبدا مع ما للإمام علىّ ونســله من مكانة ومحبة لايختلف عليها أحد من المسلمين اليوم وإلى يوم الدين.

ثم إن الإمام عليًا هو الذى حســم الخلاف بنفســه، حين أعلن أمام الجميع قبوله مبايعــة الخليفة الأول أبى بكــر الصديق، ثم من بعده بايع الخليفــة الثانى عمر بن الخطــاب، وبايع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعا، وكان بذلك حريصا على جمع كلمة المســلمين، والحفاظ على وحدتهم، إلى أن صار الأمر إليه، وقبل أن يكون أمير المؤمنين تحت ضغط وإصرار المطالبين بســرعة القصاص من قتلــة عثمــان، وإن كان الذين طالبوه بقبول الإمارة هم الذين تخلوا عنه أو انشــقوا عليــه، أوعارضوه، فهــذا أمر انتهى زمنــه، والحكم على الجميــع لله وحده، ويمكن

obeikandi.com

دراســة هذه الأحداث على أنها أحداث تاريخية. يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر، ولكن لن نســتطيع استعادة الماضى مهما كان مبلغ الألم الذى نشعر به كلما تذكرنا مأساة الإمام علىّ والإمامين الحسن والحسين ونسلهما.. فالحكم بالصواب والخطأ ينصب علــى الماضى وليس على الحاضر أوالمســتقبل، ومحاكمة المخطئين وللجرمــين محاكمة تاريخية وليســت محاكمــة واقعية لأنهم لم يعــودوا موجودين أومؤثريــن فــى حياتنا.. ونحن الآن أحرار نســتطيع أن نحتفــظ بالحب بلا حدود لآل البيــت، ونديــر حياتنا فى نفــس الوقت بما يتفق مع العصــر ويحقق مصالحنا والرسولﷺ وهو الذى قرر مبدأ «أنتم أدرى بشئون دنياكم» وفتح بذلك الباب أما المسلمين للتطور ومسايرة كل عصر بما يتفق مع طبيعته.

وباختصار: لا معنى لأن نجعل الماضى يحكم الحاضر ويتحكم فى المســتقبل، فإن الذيــن يثيرون الحروب بين المذاهب الإســلامية يضرون بالأمة والإســلام جميعا.. فالمســلمون فى حاجة إلى أن يجتمعوا على كلمة ســواء، ويكفى ما هم فيه من محن تشتد عليهم من أعدائهم، كلما تفرقوا..

obeikandl.com